

توثيق دراسة تعاليم عصمة الأئمة في وصية الإمام علي (ع)؛ نقد نظرية عبدالرحمن جميعان

محمود صيدي^١، علي حسن نيا^٢

١. أستاذ مساعد في قسم الفلسفة والحكمة الإسلامية بجامعة شاهد، إيران. (الكتاب المسؤول) (m.saidiy@yahoo.com)

٢. أستاذ مساعد في قسم علوم القرآن والحديث بجامعة شاهد، إيران. (a.hasannia@shahed.ac.ir)

تأريخ القبول: ١٤٣٩/٦/٢١

تأريخ الاستلام: ١٤٣٩/٤/١٨

Exploring the Doctrine of Infallibility of Imams in the Testament of Imam Ali (AS);

Critical Investigation into Abd al-Rahman al-Jamiyan's Theory

Mahmoud Saidi¹, Ali Hasanniya²

1. Assistant Professor, Department of Philosophy and Islamic Wisdom, Shahed University (Corresponding Author) (m.saidiy@yahoo.com)

2. Assistant Professor, Department of The Qur'an and Hadith, Shahed University (a.hasannia@shahed.ac.ir)

Received: 06/January/2018

Accepted: 10/March/2018

Abstract

Testament of Imam Ali (AS) to Imam Hassan (AS) is one of the most important letters in Nahj-ul-Balagha due to which many challenges leveled at the doctrine of infallibility of Imams in Shiite. Analyzing this letter, Abd al-Rahman al-Jamiyan, one of the Salafi's scholars, jumps to this conclusion that in Imam Ali's view, Imams are not utterly infallible. He also proves incompatibility of the doctrine of infallibility with Nahj-ul-Balagha. In the present study two critical approaches were used to scrutinize this theory. In the first approach which is an internal approach it is cogently argued that in this letter all human beings have been addressed, and infallibility does not contradict with the notion of sin. It is also claimed that promotion of good and prevention of evil which has addressed infallibles should be considered as kind of guidance, but not as a religious bidding, and the fact that an infallible person in his/her divine knowledge needs God. In the second approach analyzed by al-Jamia which is known as an external approach, al-Jamia argued that this theory is not compatible with different chapters of Nahj-ul-Balagha in which the doctrine of infallibility has been explained.

Keywords: Nahj-ul-Balagha, Infallibility, Al-Jamiyan, Imam Ali (AS), Imam Hassan (AS).

الملخص

تعتبر وصية الإمام علي إلى ابنه الحسن (عليهما السلام) واحدة من أهم رسائل نهج البلاغة، والتي تسببت في العديد من التحديات لتعاليم عصمة الأئمة في مذهب التشيع. في هذا الصدد، يستنتج عبد الرحمان جميعان أحد علماء السلفيين بتحليل هذه الرسالة، أن الأئمة ليسوا معصومين من وجهة نظر الإمام علي (ع)، ويثبت عدم توافق تعاليم العصمة مع نهج البلاغة. في هذه الدراسة، سيتم انتقاد هذه النظرية بالاستعانة بمنهج النقد الداخلي والخارجي. بينا في النقد الداخلي أن المخاطب في هذه الرسالة هو من بني آدم، وأن العصمة لا تعارض مع مفهوم الخطيئة والذنب؛ فالأوامر والنواهي الموجهة إلى المعصوم ذات جانب إرشادي والمصعوم يحتاج في علمه اللدني إلى الله. في النقد الخارجي، بينا أن هذه النظرية لا تتفق مع مختلف فقرات نهج البلاغة، والتي تم من خلالها شرح تعاليم العصمة.

الكلمات المفتاحية: نهج البلاغة، العصمة، جميعان، الإمام علي (ع)، الإمام الحسن (ع).

المقدمة

تعتبر وصية الإمام علي إلى ابنه الحسن (عليهما السلام) واحدة من أهم رسائل نهج البلاغة والتي تحتوي على تعاليم أخلاقية وتربوية هامة. وتكمن أهمية هذه الرسالة في أن إمامًا يكتب إلى إمام آخر ومعصوم إلى معصوم آخر، موصيًا إياه بأداء الواجبات وتجنب المحظورات. في هذا الصدد، أدت بعض فقرات هذه الرسالة إلى العديد من البحوث الكلامية بين العلماء، لأن ظاهرها لا يتوافق مع عصمة الأئمة، والتي تعتبر من المعتقدات الأساسية للشيعة (مصباح يزدي، ٢٠١٢م: ٢٤). يعتقد الشيعة أن الأنبياء (ع) بمن فيهم النبي محمد (ص) معصومون في حياتهم عن ارتكاب أية خطيئة، كبيرة أو صغيرة، مقصودة أو غير مقصودة (مفيد، ١٤١٣: ٦٢) وبالتالي فإن الأئمة (ع)، الذين هم خلفاء الأنبياء (ع)، يتمتعون بمثل هذه السمة ولا يرتكبون أي نوع من الذنوب. (م. ن: ٦٥).

يتطرق عبد الرحمن بن عبد الله الجميعان، وهو عالم سلفي وهابي، إلى دراسة المعتقدات الشيعية في كتابه "قراءة راشدة لكتاب نهج البلاغة". باستخدام مختلف فقرات هذه الرسالة، ينتقد هذا العالم مختلف التعاليم الشيعية ومبادئ معتقداتهم مثل الإمامة. في هذا الصدد، يسعى الجميعان إلى استخدام نهج البلاغة لإثبات أن الأسس الشيعية تفتقر إلى مكانة هامة في هذا الكتاب الشيعي المهم والقيم، وأن الشيعة لا يتمتعون باستنتاج سليم من مصادرهم المعتمدة.

ومن الحالات التي تطرق فيها الجميعان إلى النقد الدقيق لتعاليم الشيعة، تعاليم عصمة الأئمة (ع) في المذهب الشيعي. وفقًا للمعتقدات الشيعية، الأئمة (ع) مثل الأنبياء (ع)، لا يرتكبون أية خطيئة كبيرة أو صغيرة في حياتهم كلها (الصدوق، ١٤١٤: ٩٦) لذلك، يحاول الجميعان إثبات أن الأئمة (ع) ليسوا معصومين من خلال تحديد عناصر ومفاهيم

معينة في نهج البلاغة. وبالتالي، يقوم بدراسة أجزاء مختلفة من هذه الرسالة خلال مراحل مختلفة (الجميعان، ١٤٢٧: ٣٠). من وجهة نظره، فإن المصطلحات والتعابير الواردة في هذه الرسالة تعتبر عن عاطفة والد رؤوف عطوف على ابنه، حيث يشعر بالقلق حيال هدايته وكماله، وهو بالتأكيد أمر غير متوافق مع العصمة (الجميعان، ١٤٢٧: ٣٤) لأن المعصوم يبلغ السعادة بسبب عصمته عن ارتكاب الذنوب.

في هذه الدراسة، سنقوم باستخدام أسلوب الجامعان في دراسة نقدية لنظريته في هذا الصدد. لذلك، سنحاول استخدام نهج البلاغة لنقص حجج هذا المؤلف، على الرغم من الاستعانة ببعض الآيات القرآنية في بعض الأحيان لتحقيق هذا الغرض.

سمات الإمام القائمة على الهداية

ومن البراهين التي يقدمها المفكرون الشيعة في إثبات عصمة الأئمة، سمات الإمام القائمة على الهداية، بالقول أن الإمام هو قائد البشر ومرشدهم، فإذا ارتكب خطيئة أو ذنبًا، فإن طاعته غير صحيحة (كراكجي، ١٤١٠: ٣٤٧/١) وبعبارة أخرى، الإمام هو أمين الله سبحانه وتعالى على الدين والناس، فإذا ارتكب الأخطاء في تطبيق الأحكام الإلهية، فلن يكون قادرًا على أن يكون إمامًا (المجلسي، د. ت: ٤٠) لذلك، يذكر القرآن دائمًا الهداية بعد الإمامة (الأنبياء: ٧٣؛ السجدة: ٢٤) (الطباطبائي، ١٤١٧: ٢٧٢/١) إذا لم يكن الإمام معصومًا وارتكب الذنوب (الصغائر أو الكبائر)، فإن اقتران الإمامة بالهداية في الآيات القرآنية لن يكون ذا معنى، لأن الله لا يخبر عن أمر غير واقعي وكاذب.

ويتمثل أحد أهم أجزاء هذه الوصية في تأكيد أمير المؤمنين (ع) على عدم استقرار الدنيا وأحداث الدهر، حيث ذكّر فيها الإمام (ع) بالوفاة والطبيعة غير المستقرة للدنيا وأحداثها؛ وبالتالي ينصح بعدم التعلق بها. من خلال تحليل هذا البند، يسعى الجميعان إلى تحديد العناصر والمفاهيم التي تنقض النظرة الشيعية لعصمة الإمام. «مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ... إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمَّلِ مَا لَا يَدْرِكُ السَّلَالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ غَرَضَ الْأَشْقَامِ وَرَهْبَتِ الْأَيَّامِ وَرَمِيَةِ الْمَصَائِبِ وَعَبْدِ الدُّنْيَا وَتَاجِرِ الْغُرُورِ وَغَرِيمِ الْمَنَائِمِ وَأَسِيرِ الْمَوْتِ وَخَلِيفِ الْهُمُومِ وَقَرِينِ الْأَحْزَانِ وَنُصْبِ الْأَقَاتِ وَصَرِيحِ الشَّهَوَاتِ وَخَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ» (الرضي، ١٤١٤: ٣٩١).

١. يعتقد بعض العلماء الشيعة أن أمير المؤمنين (ع) كتب هذه الوصية لمحمد بن حنفية (ابن طاووس، ١٩٩٦م: ٢١٩). ويبدو أن ابن ميثم البحراني قد قبل هذه النظرية نفسها (البحراني، ١٤١٧: ٥/١). إذا كان هذا هو الحال، وبسبب عدم عصمة المرسل إليه، فلن يكون هناك أي تناقض مع عصمة الإمام. ومع ذلك، يعتقد المشهورون من المحدثين أن المرسل إليه هو الإمام الحسن (ع) (انظر: ابن شعبة الحراني، ١٤٠٤: ٦٨؛ الحر العاملي، ١٤٠٩: ٢٧/١٧٠؛ المجلسي، ١٤٠٣: ٧٤/١٩٨).

٢. تجدر الإشارة إلى أن السلفيين قاموا بالكثير من الدعاية حول هذا الكتاب، وفي بعض السنوات قاموا خلال فترة الحج بتوزيعه على الحجاج الإيرانيين.

(١٤٦) إن تشبيه آل محمد بالنجوم يعنى أن هداية الأئمة الإثنى عشر لإرشاد البشر في سبيل الله تشبه النجوم التي ترشد البشر في ظلمات البر والبحر. وكما تشرق نجمة جديدة بغروب أخرى، يحل إمام جديد خليفة للإمام الذي استشهد. وهكذا فإن هداية الأئمة دائمة (هاشمي خوي، ١٤٠٠: ١٦١/٧).

كما يبين علي (ع) حول أهل البيت قائلاً: «... هُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ وَوَلَا يُجُ الْإِعْتِصَامُ» (الرضي، ١٤١٤: ٣٥٨) إن أهل البيت عليهم السلام مرجع الخلق الذي يلجأ إليه المجتمع الغارق في الجهل من عذاب الآخرة (البحراني، ١٤١٧: ٥٦٦/٤)، لاسيما وأن الاعتصام في اللغة يعنى التمسك بشيء ما (ابن الأثير، ١٩٨٨م: ٣/ ٢٤٩)، ولذلك يتمسك الآخرون بالأئمة نظراً لأنهم لا يضلون.

وتأكيداً على هذا الأمر، يدعو أمير المؤمنين (ع) الناس إلى التماس الهداية والرشد وتجنب الضلال باتباع أهل البيت (ع) قائلاً: «... أَعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَه... فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَمَوْتُ الْجَهْلِ» (الرضي، ١٤١٤: ٢٠٦-٢٠٥) ونتيجة لذلك، فإن سمة هداية الأئمة (ع) في "نهج البلاغة" مؤكدة أيضاً وهي تثبيت عصمتهم.

وقد أكد أمير المؤمنين (ع) في خطبة أخرى على هذه السمة قائلاً: «أَنْظَرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرَجُوكُمْ مِنْ هُدًى وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا.» (الرضي، ١٤١٤: ١٤٣).

بالنظر إلى ما تقدم ذكره، نلاحظ أن الفقرة الأولى من وصية الإمام علي إلى ابنه الإمام الحسن عليهما السلام: "مِنْ الْوَالِدِ الْفَانِ... إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤْمَلِ مَا لَا يَدْرِكُ السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ غَرَضُ الْأَسْقَامِ وَرَهِينَةُ الْأَيَّامِ وَرِيمِيَّةُ الْمَصَائِبِ وَعَدِيدُ الدُّنْيَا وَتَاجِرُ الْغُرُورِ وَغَرِيمُ الْمَنَابَا وَأَسِيرُ الْمَوْتِ وَخَلِيفُ الْهُمُومِ وَقَرِينُ الْأَحْزَانِ وَنُصَبُ الْأَقَاتِ وَصَرِيحُ الشَّهَوَاتِ وَخَلِيفَةُ الْأَمْوَاتِ." (الرضي، ١٤١٤: ٣٩١) تتناقض مع بعض العبارات في نهج البلاغة حول عصمة الأئمة. إذن، السؤال الذي يطرح

إن التعابير المشار إليها أعلاه تتناقض مع عصمة الإمام الحسن ابن الإمام علي عليهما السلام. فكيف تتغلب شهوات الدنيا على المعصوم؟ هل يتحدث الإمام علي (ع) عن أمور لا يفهم معانيها وبالتالي فهي كلمات غير مجدية؟ في هذه الحالة، لن يكون معصوماً. إذا افترضنا أن علياً (ع) وابنه الحسن (ع) معصومان، فإن مثل هذه التفسيرات لاتتوافق مع عصمة ابنه (الجميعان، ١٤٢٧: ٢٧) وبعبارة أخرى، فإن الحجب الشيعية في هذا الصدد تنتهكها هذه الفقرات من وصية الإمام علي (ع)، لأنه إذا كانت الصفات المذكورة أعلاه صحيحة، فلن يكون لدى الإمام القدرة على توجيه الآخرين وإرشادهم لعدم تمتعه بالعصمة.

نقد عدم تمتع الإمام بسمه الهداية

يعتقد فيض الإسلام أن الإمام علي (ع) يوجه هذه الوصية إلى بني آدم وليس للإمام الحسن (ع) فحسب، حيث أن بعض الكلمات مثل عبد الدنيا وتاجر الغرور لاتتناسب وشأن الإمام (ع) ومقام عصمته (فيض الإسلام، ١٣٧٩: ٥ / ٩٠٨-٩٠٧) لذلك، فإن هدف الإمام علي (ع) في هذه الوصية هو استخدامها من قبل كافة الأفراد. لأنه إذا كان الإمام علي (ع) باعتباره إماماً معصوماً، يعظ إماماً معصوماً آخر، فسوف يستخدم عبارات تناسب العصمة، والتي لن تكون مفيدة للآخرين. ونظراً لأن كلا منهما يتمتع بالعلوم الإلهية وعدم وجود شيء مخفي عنهما، فلن تكون هذه الوصية ذات فائدة بالنسبة للآخرين، وسيزعم الآخرون أن الوصية لم تكن متعلقة بهم. ونتيجة لذلك، وعلى الرغم من أن الإمام علي (ع) قد جعل ابنه المعصوم مخاطب الوصية، لكن الهدف الرئيسي هو استخدامها من قبل كافة الناس، لاسيما وأن التعبير عن صفات المخاطب يدل على أن الوصية موجهة لكل شخص لديه هذه الصفات، على الرغم من أن مخاطب هذه الوصية هو الإمام حسن (ع) (مصباح يزدي، ٢٠١٢م: ١٨-١٧).

وتنقض فقرات من نهج البلاغة استدلال الجميعان في هذا الجزء، حيث يشبه الإمام علي (ع) آل محمد بنجوم السماء الساطعة قائلاً: «إِنَّ مَثَلِ آلِ مُحَمَّدٍ (ص) كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ إِذَا حَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلْتُمْ مِنَ اللَّهِ فِيكُمْ الصَّنَائِعُ وَأَزَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمَلُونَ» (الرضي، ١٤١٤:

١. «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِيَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» (الأنعام/٩٧).

الحال، فإن النظرة الشيعية لعصمة الإمام منتهكة. ويحذر الإمام على (ع) ابنه من اللجوء إلى الوهم والأمنيات غير المجدية لكي لا يكون من الذين يمتنعون عن القيام بالأعمال الصالحة: «فَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ وَيَأِينِ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ... وَإِيَّاكَ وَالْإِتِّكَالَ عَلَى الْمُنَى فَإِنَّهَا بَصَائِعُ النَّوْكَى» (الرضي، ١٤١٤: ٤٠٢) بالتالي فإن تعابير الإمام على (ع) تدل على أن عدم عصمة الإمام الحسن (ع) بسبب وجود هوى النفس لديه.

كيف يمكن أن تكون الاختلافات الموجودة بين الناس خداعة بالنسبة للإمام الذي يتم تعيينه من قبل الله ويكون معصوماً عن جميع الانحرافات والأخطاء؟ «تُمْ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَأَرَائِهِمْ مِثْلَ الَّذِي التَّبَسَّ عَلَيْهِمْ.» (الرضي، ١٤١٤: ٣٩٤) إن علياً (ع) يأمل أن يرشد الله ابنه. ونتيجة لذلك، فإن الأئمة ليسوا موجّهين، بل إنهم في جميع الحالات والظروف مثل البشر الآخرين، يحتاجون إلى التوجيه والإرشاد (الجميعان، ١٤٢٧: ٣٤).

نقد عصمة الإمام من هوى النفس

وفقاً للمتكلمين الشيعة، فإن القدرة على ارتكاب الذنوب لا تتعارض مع العصمة. بالتالي، يمكن للشخص المعصوم أن يتخيل أو يفكر بأشياء مختلفة لا تتناقض مع عصمته. إن فعل الخطيئة يتناقض مع العصمة. ونتيجة لذلك، لا تتناقض عبارات مثل صدق الفكر، وإبعاد هوى النفس والتفكير الصريح مع عصمة المخاطب.

ولا يتطلب هذا النوع من التعابير أن لا يكون أمير المؤمنين (ع) قبل كتابة هذه الوصية عالماً بالدنيا والآخرة أو الموت، بل إنه كان على علم بها دائماً، لكن هذه الحالة تصبح أقوى في مرحلة الشيخوخة وتجعل الإنسان يشعر بآخرته (ابن أبي الحديد، ١٤٠٤: ٥٨/١) ومما يدل على هذا الأمر تعبير أمير المؤمنين (ع) عن سبب قبول الخلافة بالتفصيل، مبيّناً أن الدنيا لا تساوي عنده أكثر من عطفة عنز «... أَلَا فَيُتَمُّ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَرْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنزٍ» (الرضي، ١٤١٤: ٥٠) ولذلك فإن التعابير التي يستدل بها الجميعان في هذا الجزء، لاتبين عدم عصمة الإمام، بل تبين غلبة التفكير بالله (ابن أبي الحديد، ١٤٠٤: ١٦ / ٥٩-٦٠) وتراجع التفكير بالدنيا وشؤونها.

نفسه هو، أية من هذه الحالة نفضلة على الأخرى؟ من أهم جوانب تفضيل حديث على آخر توافقه مع القرآن: «إِنَّ عَلَى كُلِّ حَقٍّ حَقِّهَ وَحَقٌّ حَقِّقَهُ وَعَلَى كُلِّ صَوَابٍ نُورٌ فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ فَخُذُوهُ وَمَا خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ فَدَعُوهُ.» (الكليبي، ١٤٠٧: ١/٦٩) بالتالي، نلاحظ أن التعابير التي تثبت عصمة الأئمة في نهج البلاغة مرجحة على العبارات الأولى في الوصية نظراً لأنها تتوافق مع القرآن الكريم (لا يَبَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (البقرة: ١٢٤)، كما أن عصمة الأئمة قابلة للإثبات بالبراهين العقلية، لأنهم إن لم يكونوا معصومين فلا سبب يدعوننا إلى طاعتهم. إذن فإن العبارات التي تثبت عصمة الأئمة (ع) مرجحة من الجانب العقلي والنقلي.

الإمام المعصوم لا يغلبه هوى النفس

من وجهة نظر الشيعة، يتمتع الإمام بمزيد من الفضيلة والتقوى أكثر من غيره من أفراد المجتمع بسبب خصوصيات التوجيه والإرشاد (الحلي، ١٤٢٦: ٢٠٢) لذلك، لن يتعرض الأئمة لهوى النفس بسبب كونهم معصومين ولن يرتكبوا الذنوب. في حين أن البشر الآخرين لديهم رغبات عاطفية، كما أنهم يعانون أيضاً من الذنب والخطيئة.

ويعتقد الجميعان أن هذه الحجّة لا تتوافق مع تعابير الإمام (ع) الواردة في الوصية الموجودة في نهج البلاغة: «... غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هُمُ نَفْسِي فَصَدَفْتَنِي رَأْيِي وَصَرَفْتَنِي عَنْ هَوَايَ وَصَرَحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي فَأَفْضَى بِي إِلَى جِدِّ لَا يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ وَصِدْقٌ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي حَتَّى كَأَنَّ شَيْئًا لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي...» (الرضي، ١٤١٤: ٣٩٢-٣٩١).

إن التعابير التي استخدمها الإمام على (ع) في هذه الفقرة تنكر عصمته بصراحة. مثل صدق الفكر، وإبعاد هوى النفس والتفكير الصريح. إن هذه الأمور لا تنطبق على الشخص المعصوم. لأن هذه الفقرات تعبر عن أن أفكار المتحدث ليست صحيحة، وأن الأفكار الخاطئة شقت طريقها إلى داخله، مثل هوى النفس، وبالتالي الحاجة إلى الابتعاد عنه. ولهذا السبب، فإن السؤال الجوهرى هو: هل يعاني المعصوم من هوى النفس الذي يقوده إلى كل جانب؟ أم أنه يتمكن من السيطرة عليه؟ (الجميعان، ١٤٢٧: ٣١) إذا كان هذا هو

فقرات من نهج البلاغة لتقصه: «فَأَيُّ أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ أَيُّ بُنَى وَزُومَ أَمْرِهِ وَعِمَارَةَ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ وَالِاعْتِصَامَ... فَأُصْلِحْ مَثْوَاكَ وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِذُنُوبِكَ وَدَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ وَالْخُطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلِّفْ وَأَمْسِكْ عَنِ طَرِيقِ إِذَا خُفِتْ ضَلَالَتُهُ فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ خَيْرَةِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوَالِ» (الرضي، ١٤١٤: ٣٩٢).

لماذا يوصي معصوم معصوماً آخر بعمل الخير، بينما يعلم أن جميع أفعاله صحيحة وأنه لا يرتكب خطيئة أو ذنباً؟ والسؤال الأكثر أهمية هو، لماذا يوصي علي (ع) الحسن (ع) بتقوى الله وتلبية وصاياه، ثم يرشده لإحياء قلبه من خلال الوعظ؟ ألا يتبع المعصوم دوماً في سلوكه منهجاً محدداً ويمارس أفعاله وفقاً له؟ وبعبارة أخرى، فإن الشخص المعصوم لديه دائماً طريقة محددة في حياته ولا يعاني من الرغبات العاطفية وهوى النفس (الجميعان، ١٤٢٧: ٣٢) لذلك، فإن نصيحته بتقوى الله لامعنى لها هنا.

والأهم من ذلك أن الإمام علياً (ع) يتطرق لتعابير مثل النهي عن بيع الدنيا بالآخرة والتحدث عن الأمور التي ليس للإنسان معرفة بها، مما يثبت أن الإمام ليس معصوماً (م. ن: ٣٢) بتعبير آخر، من الممكن أن يخالف الحسن (ع) هذه الأمور ولذلك قام علي (ع) بتوصيته بتجنب مخالفتها.

ينصح الإمام علي (ع) ابنه بالاكتماء بما فرضه الله تعالى والأخذ بما مضى عليه الأولون والصالحون من أهل البيت: «وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللَّهِ وَالِاقْتِصَارُ عَلَيَّ مَا فَضَّلَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالْأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ.» (الرضي، ١٤١٤: ٣٩٤) ثم يقول الإمام علي (ع) بأن كل عمل يحتاج إلى تفكير وتدبير. ولذلك لا يجب انتظار الوحي الإلهي: «مَنْ أَهْلَ بَيْتِكَ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدْعُوا أَنْ نَنْظُرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاطِرٌ وَفَكَرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ» (الرضي، ١٤١٤: ٣٩٤؛ الجميعان، ١٤٢٧: ٣٥).

ويتابع الإمام علي (ع) نصيحة ابنه بتجنب الوقوع في الشبهات قائلاً: «فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذَلِكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَتَعْلَمُ لَا يَتَوَرَّطُ الشُّبُهَاتِ وَعَلَى الْخُصُومَاتِ» (الرضي، ١٤١٤: ٣٩٥-٣٩٤)؛ «فَأَعْلَمُ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخْبِطُ الْعَشْوَاءَ وَتَتَوَرَّطُ الظُّلْمَاءَ وَلَيْسَ طَلِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَطَ وَالْإِمْسَاكُ عَنِ ذَلِكَ أَمْتَلُ.» (الرضي،

إن عبارات "قَارَنَ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ" "و بَابِنَ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِينُ عَنْهُمْ" هي عبارات شرطية. من الجانب المنطقي، لا يتوقف صدق العبارة الشرطية على صدق المقدم أو التالي لوحده، بل يتوقف على صدق الشرط (ابن سينا، ١٤٠٥: ٣٤) ومن هذا المنطلق، فإن مضمون هذا النوع من القضايا لا ينطوي على عدم كون المخاطب من أهل الخير أو كونه من أهل الشر، بل تبين حكماً عاماً (المازندراني، ٢٠٠٣: ٢٤٣/١) أي أن من يجالس أهل الخير يصبح منهم ومن يبتعد عن الأشرار لا يكون منهم.

بناءً على هذا المعنى، فإن قضية "وَأَيُّكَ وَالِاتِّكَالَ عَلَى الْمُتَى فَإِنَّهَا بَصَائِعُ التَّوَكُّلِ" قضية شرطية، بالتالي فإنها لا تتطلب صدق المقدم أو التالي في المخاطب. ولهذا المدعى شاهد قرآني: «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا» (الأنبياء: ٢٢) ولكي تكون هذه الآية صادقة، لا يتطلب الأمر وجود إلهين في السماء والأرض، رغم أنها قضية شرطية صحيحة.

في التعابير التي يستخدمها أمير المؤمنين (ع) حول أهل البيت، ينفى عنهم أي نوع من هوى النفس، الاشتباه في الأمور والاختلاف في وجهات النظر والعقيدة [والناجم عن هوى النفس]: «هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَمَوْتُ الْجَهْلِ يُخْبِرُكُمْ جِلْمُهُمْ عَنِ عِلْمِهِمْ لَا يَخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ... وَأَنْزَاخِ الْبَاطِلِ عَنِ مَقَامِهِ وَأَنْقَطَعِ لِسَانُهُ عَنِ مَنِيَّتِهِ» (الرضي، ١٤١٤: ٣٥٨-٣٥٧). إن هذه التعابير، أي حياة المعرفة وفناء الجهل، عدم معارضة الحقيقة وعدم وجود اختلاف حولها، وعودة الحقيقة إلى مكانها من جانبهم، واجتناب الباطل من جذوره، تدل على وجود علم يقيني وعدم وجود هوى النفس. ونتيجة لذلك، لا يتأثر الأئمة بالرغبات العاطفية وهوى النفس وبالتالي فهم معصومون.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إذا ارتكب الأئمة خطيئة، فيجب أن يكونوا خاضعين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر عام ولا يقتصر على شخص معين أو جماعة محددة، وفي هذه الحالة لن تكون الإمامة لائقة بهم، وبالتالي لا يجب اتباعهم (الحلي، ١٤١٣: ٣٦٤)

ويأخذ الجميعان هذا الأمر بعين الاعتبار، فيبين عدة

١٤١٤ : ٣٩٥) الشبهة عمل لا يدرك الإنسان صحته من عدمها أو حاله من حرامه. ولكن السؤال هو: هل يقع الإمام المعصوم في الشبهات؟! هل يمكن لهوى النفس أن يضله كما يفعل بالآخرين من بني آدم؟! إذا لم يكن الأمر كذلك، فما هو معنى كلام الإمام علي (ع) الموجه إلى ابنه؟ (الجميعان، ١٤٢٧ : ٣٥).

وبالتالي ونظرًا لوجود هذه التعابير في وصية الإمام علي (ع)، فإن الإمام الحسن (ع) غير معصوم ووجهة نظر الشيعة خاطئة في هذا المجال.

تناسب الأوامر والنواهي مع عصمة الإمام

يبدو أن الأوامر والنواهي التي تخاطب الإمام المعصوم، لاتعنى انتهاك عصمته، بل إنها خبر لأتباعه الذين لا يتخطونها أبدًا. ولذلك، فإن اتباع البشر الآخرين سيعطى الأولوية لهذه المسائل. إن المبدأ التوجيهي مقابل للمولوي وليس المقصود منه تحفيز المكلف على فعل الواجبات وترك المحظورات، بل الغرض الوحيد منه هو توجيهه إلى مصلحته في الأمور به ومفسدته في المنهى عنه (الصدر، ١٤٠٨ : ٤١٣/٤) ومن هنا المنطلق، فإن حقيقة الحكم الإرشادي تكمن في توجيه المرء إلى مصلحته في الأمور به ومفسدته في المنهى عنه (الحكيم، ١٤١٤ : ٥ / ٢٦٦) إن هذه الأوامر والنواهي إرشادية وليست مولوية، وبالتالي فإن سبب صدورها يكمن في دفع المكلف إلى فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، وهذا لا يتعارض مع عصمة الأئمة (ع).

فضلاً عن ذلك، يزعم المتكلمون الشيعة أن العصمة لاتتنافى مع القدرة على ارتكاب الخطايا. لهذا السبب، يستحق المعصومون الشاء على تجنب ارتكاب الخطايا. وبخلاف ذلك، فهو لا يخضع للواجبات الدينية، ويتم إبطال جانبه الإنساني. في حين أن المعصوم هو أيضًا مكلف مثل البشر بالتقيد بالواجبات وترك المحظورات (الحلي، ١٤١٣ : ٣٦٥) ونتيجة لذلك، فإن سبب توجيه الأوامر والنواهي إلى المعصوم يكمن في قدرته على فعل الخطايا (المفيد، ١٤١٣ : ١١٥) والنتيجة هي توجيه النصيحة من قبل الإمام علي (ع) إلى ابن الحسن (ع) ليست متناقضة مع العصمة.

إن الفقرات التي يستشهد بها الجميعان في نقد وجهة

النظر الشيعة حول المعصوم، تتناقض مع آيات من القرآن الكريم. وتجمع كافة الفرق الإسلامية على أن النبي محمد (ص) معصوم عن ارتكاب المعاصي والخطايا (الرازي، ١٩٨٦ : ٢ / ١١٥-١١٦)، وعلى الرغم من ذلك فإن الله سبحانه وتعالى يأمره بفعل الواجبات وترك المحظورات حيث يقول: «اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ...» (العنكبوت: ٤٥)؛ «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا...» (الأحزاب: ١)؛ «فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» (الضحى: ٩-١١) ألم يكن رسول الله (ص) يتلو الوحي الإلهي على الناس؟ ألم يكن تقيًا ويتجنب اتباع الكفار والمنافقين؟ ألم يتجنب قهر اليتيم ونهر السائل؟ فلماذا إذن يوجه تعالى هذه الأوامر إلى رسول وهو أكثر المعصومين كمالًا؟ نستنتج أن هذه الآيات لاتتناقض مع عصمة النبي محمد (ص)، وبالتالي فإن الفقرات التي يستشهد بها الجميعان في نقد وجهة النظر الشيعة حول المعصوم لاتنفي عصمة الأئمة.

علم الإمام ليس كسبياً

الإمام عالم فيما يتعلق بشؤون الإمامة، وكيفية إدارة الشؤون الإنسانية والشريعة، ويتم إثبات مثل هذا الرأي بعقلانية (الطوسي، ١٤٠٦ : ٣١٠) لهذا السبب، وفقًا لوجهة نظر الشيعة، فإن الأئمة (ع) مثل النبي محمد (ص)، يتمتعون بالعلم الغيبي واللدني. وهكذا فكلما أرادوا يكون هذا العلم في متناول يدهم بإذن الله (خراسي، ١٤٢٠ : ٢ / ٤٦) وقد ذكر هذا الأمر أيضًا في بعض روايات الشيعة: «إِذَا أَرَادَ الْإِمَامُ أَنْ يَعْلَمَ شَيْئًا أَعْلَمَهُ اللَّهُ ذَلِكَ.» (الكلبيني، ١٤٠٧ : ١ / ٢٥٨) في وجهة النظر الشيعة، لا يحتاج الأئمة بسبب هذا العلم إلى التعلم، وبسبب كون هذا العلم إلهيًا، فليس هناك أي خطأ أو شبهة في علمهم، لأن الخطأ والشبهة موجودان في العلوم الكسبية والإنسانية، وليس في العلوم الإلهية واللدنية. نتيجة لذلك، وبسبب عدم وجود خطأ في علم الأئمة، فهم لا يرتكبون الخطيئة أو الذنوب.

يرى الجميعان أن هذا الأمر لا يتفق وبعض الفقرات في نهج البلاغة: «...تَفَقَّهَ فِي الدِّينِ... وَأَكْثَرَ الْإِسْتِحَارَةَ.» (الرضي، ١٤١٤ : ٣٩٣-٣٩٢)، لأن عبارة "تَفَقَّهَ فِي الدِّينِ"

وبناءً على ذلك، ونظرًا لأن الإمام الحسن (ع) غير معصوم، فإن الإمام علي (ع) يعظه باتباع سنة النبي محمد (ص) لأجل النجاة مثل سائر المسلمين: «وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ أَنْ أَحَدًا لَمْ يُبَيِّنْ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ [ص] فَارْضَ بِهِ رَايِدًا، وَإِلَى النَّجَاةِ قَائِدًا». (الرضي، ١٤١٤: ٣٩٦؛ الجميعان، ١٤٢٧: ٣٧).

بما أن الإمام عليًا بن أبي طالب (ع) لا يثق بمستقبل ابنه، فإنه يعظه بتوحيد الله ومبادئ الدين وأصوله، حتى تلك المبادئ البسيطة التي يعرفها كل مسلم، مثل التوحيد والتفكير والتدبر في الأعمال والمخلوقات، ويذكره بصفة الأول والآخر: «وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَصِفَاتِهِ وَلَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ لِأَيُّدَاهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ وَلَا يَزُولُ أَبَدًا وَلَمْ يَزَلْ أَوَّلَ قَبْلِ الْأَشْيَاءِ بِلَا أَوَّلِيَّةٍ وَآخِرَ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلَا نِهَائِيَّةٍ عَظُمَ [أَنْ تُثَبَّتَ] عَنْ أَنْ تُثَبَّتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ». (الرضي، ١٤١٤: ٣٩٦) وفضلًا عن ذلك، يؤكد علي (ع) على تعلم ابنه من هذه الجمل والعبارات: «فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يُبَيِّنُ لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ...». (الرضي، ١٤١٤: ٣٩٦) فهل يحتاج الإمام الحسن (ع) إلى مثل هذا التذكير مثل أي إنسان آخر؟ (الرضي، ١٤١٤: ٣٩٦؛ الجميعان، ١٤٢٧: ٣٨).

نقد علم الإمام الكسبي

على الرغم من أن علم الإمام يعتمد على إرادته، إلا أن إرادته تتماشى مع إرادة الله وغايته، ولن يريد إلا ما يريد الله (جواد آملی، ٢٠١٠: ٢٢٠). هناك نقطة أخرى وهي أن العلم اللدني لا يعني العلم بأكمله منذ البداية، ولذلك يحتاج الإمام دائمًا إلى الله في علمه. ولذلك، فإن الأمر بالتعلم ينطوي على إرادته كما أن الاستخارة تنطوي على الإرادة الإلهية بعلم الأئمة (ع) أما بالنسبة لعلم الإمام اللدني، فإن معناه إنكار تعلم الإمام من إنسان آخر، وبالتالي لا يتعارض علمه مع علم إمام آخر. ولأن الإمام يجب أن يكون أكثر فضيلة من البشر الآخرين، ففي تعليم العلوم، يكون المعلم ذا فضل أكثر من المتعلم. في هذا الصدد، فإن وصايا هذا الجزء إرشادية، وهي تهدف إلى التوجيه إلى حكم العقل في هذا المجال، لأن العقل البشري، وبغض النظر عن الشريعة،

أمر بالفقه والتعلم في الدين أو كونه كسبيًا وهذا يتناقض مع العلم اللدني للإمام (الجميعان، ١٤٢٧: ٣٣). وتؤيد عبارة "أَكْثَرُ الْإِسْتِخَارَةِ" هذا الأمر. يتم اللجوء إلى الاستخارة لطلب المساعدة والإرشاد من الله سبحانه في المجالات مختلفة للوصول إلى الطريق الصحيح والقويم. إذا كان للإمام علم لدني، فهذا يعني أن الاستخارة معنى. ومن ثم فإن الاستخارة تشير إلى أن الأئمة لم يكونوا يعتبرون أنفسهم معصومين (الجميعان، ١٤٢٧: ٣٣).

ويبين الإمام علي (ع) أنه علم ابنه أولاً كتاب الله وشريعة الإسلام وأحكامه: «أَنْ أُبَيِّنَ لَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَأْوِيلِهِ وَسَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ». (الرضي، ١٤١٤: ٣٩٤) إذا كان الإمام علي معرفة بجميع العلوم، فما حاجة الإمام الحسن (ع) إلى العلم الذي علمه إياه والده؟ (الجميعان، ١٤٢٧: ٣٤).

ويطلب الإمام علي (ع) من ابنه أن يفهم وصيته جيدًا ويصغى إلى كلامه ويأخذه على محمل الجد قائلاً: «فَتَفَهَّمْ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي». (الرضي، ١٤١٤: ٣٩٥) هذا التعابير تشير إلى أن الإمام الحسن (ع) لم يكن يعرف كل شيء، بل هناك أشياء لا يعلم بها ويتعلمها من الآخرين: «فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ...». (الرضي، ١٤١٤: ٣٩٥) تفيد هذه العبارة بأن بعض العلوم لم يكن متاحًا للإمام الحسن (ع) (الجميعان، ١٤٢٧: ٣٦).

ويؤكد الإمام علي (ع) أن الحسن (ع) مثل سائر البشر ولد ولم يكن يعرف شيئًا، فتعلم وتقدم في علمه: «فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ بِهِ جَاهِلًا ثُمَّ عَلَّمْتَ» (الرضي، ١٤١٤: ٣٩٥) ويؤكد الإمام علي (ع) على هذا الأمر قائلاً «وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ». (الرضي، ١٤١٤: ٣٩٥) مما يدل على الجهل ببعض الأمور والحيرة والضلال ثم إدراكها، وهذا ما ينفي عصمة المخاطب (الجميعان، ١٤٢٧: ٣٧)¹.

١. إن الفقرات التي يستدل بها الجميعان تتناقض مع الآية الكريمة التي تقول: «مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِنَانُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلَنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (شورى: ٥٢). وكما أن هذه الآية لا تتناقض مع عصمة النبي محمد (ص)، فإن الفقرات المذكورة لا تتناقض مع عصمة الأئمة. تفيد هذه الآية الكريمة بأن النبي لم يكن عالمًا لوحده بل استمد علمه من الله تعالى (الطباطبائي، ١٤١٧: ٧٧/١٨). وهكذا فإن الفقرات المذكورة تبين أن علم الأئمة مستمد من الله سبحانه وتعالى.

يعترف بالتعلم وتوحيد الله وعدم الشرك به.

ويرفض أمير المؤمنين (ع) في فقرات من نهج البلاغة كون علم أهل البيت (ع) كسبيًا فيقول: «عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلًا وَعَايَةَ وَرِعَايَةَ لِأَعْقَلِ سَمَاعٍ وَرِوَايَةَ فَإِنَّ رُؤَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرِعَايَتُهُ قَلِيلٌ». (الرضي، ١٤١٤: ٣٥٨) "وعاية" تعنى الحفظ والفهم (أزدي، ٢٠٠٨م: ١٣٣٣)، وبما أنها تقابل "سَمَاعٍ" و"رِوَايَةَ" في هذا النص، فإن المقصود بالوعاية هو العلم غير الكسبي الذي لا يحتاج إلى التعلم.

ووصف الإمام علي (ع) في خطبة أخرى أهل البيت (ع) كمايلي: «هُم مَوْضِعُ سِرِّهِ وَلِجَأُ أَمْرِهِ وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ وَمَوْئِلُ حُكْمِهِ وَكُفُوفُ كُتُبِهِ وَجِبَالُ دِينِهِ بِهِمْ أَقَامَ أَنْجَنَاءَ ظَهْرِهِ وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ» (الرضي، ١٤١٤: ٤٧).

بالإضافة إلى ذلك، يعتبر الإمام علي (ع) في "نهج البلاغة" علم الإمام واحدًا من الشروط الأساسية بالإضافة إلى سماته الهامة الأخرى مثل عدم الإهمال وتجنب الظلم والرشوة (الرضي، ١٤١٤: ١٨٩) وبالنظر إلى هذه الشروط والأحكام، فإن الإمام أكثر فضلًا من الآخرين وهو متفوق عليهم في هذا المجال. إذا كان الإمام بحاجة إلى أن يكون لديه معلم، فلن يكون أفضل من جميع أفراد المجتمع، لأن معلمه سيكون أكثر فضيلة في العلم والكمال.

بالنظر إلى ما تم ذكره، كيف يمكن للمرء أن يعتقد بأنه أمير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة لديه منهج كسبي في العلم؟ ووفقًا للنقاط الواردة في الأقسام السابقة، فإن توجيه الأوامر والنواهي إلى الإمام لا يتناقض مع عصمته وسماته الأخرى مثل العلم اللدني، لأن العصمة لا تعني نفى القدرة والاختيار. لذلك، فإن المعصوم مكلف بالتفقه في الدين.

ومن الفقرات التي استشهد بها جميعان، تعليم الإمام علي (ع) القرآن والشريعة الإسلامية لابنه (الرضي، ١٤١٤: ٣٩٤) ووفقًا للحجة التي تنطوي على أفضلية الإمام، فإن تعلم المعصوم من معصوم آخر يُنظر إليه على أنه أفضلية، وبالتالي فإن إمامته مرفوضة. ومع ذلك، في تعليم الإمام لإمام آخر، لن تحدث مثل هذه القضية. وكما ذكر في بعض هذه الفقرات، لم يتم تحديد معلم الحسن (ع): «عُلِّمْتُ؛ تُبَصِّرُهُ» (الرضي، ١٤١٤: ٣٩٥) حيث استخدمت أفعال مجهولة.

وفقًا لهذه النقاط المنصوص عليها في نهج البلاغة، فإن

الإمام ليس مثل غيره من الناس في المجتمع: «لَا يُقَاسُ بِأَلِ مُحَمَّدٍ (ص) مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ وَلَا يَسْوَى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا» (الرضي، ١٤١٤: ٤٧).

الإمام ليس ظالمًا

من أهم حجج المفكرين الشيعة قول الله تعالى "لا يَبَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ." (البقرة: ١٢٤) تبين هذه الآية الكريمة قضية دائمة (الحلي، ١٤٠٩: ٢٧٦) ومن هذا المنطلق، يجب أن يكون الإمام معصومًا طوال عمره، وبما أن حرف "لا" في الآية المذكورة يلعب دور النفي (عاس، ١٤٢٥: ٥٣/١)، فلا يمكن أن يكون الإمام ظالمًا، وبالتالي فإن ارتكابه لأي ذنب يتناقض مع مفهوم الآية الكريمة.

وينهى الإمام علي (ع) في فقرات من وصيته ابنه الحسن (ع) عن الظلم ويدعوه إلى الإحسان: «وَلَا تَظْلِمُوا كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ.» (الرضي، ١٤١٤: ٣٩٧) فهل هناك تفسير أوضح من ذلك يثبت بأن الإمام عليًا لا يعتبر ابنه معصومًا عن الخطأ؟ لأن النهي عن ارتكاب الظلم يوحي بأن المخاطب قد يرتكب (الجميعان، ١٤٢٧: ٣٨) ومن ثم فإن الاستدلال المذكور أعلاه في إثبات عصمة الإمام ينتهك مبادئ الشيعة ومعتقداتهم في نهج البلاغة.

نقد إمكانية ارتكاب الظلم من قبل الإمام

يقسم الظلم في "نهج البلاغة" إلى ثلاثة أنواع: الظلم الذي لا يقبل المغفرة وهو الشرك بالله، والذي يقبل المغفرة مثل الظلم الذي يرتكب فيه الإنسان الخطايا بحق نفسه، وظلم بعض الناس لبعضهم الآخر وهو مشمول بالقصاص (الرضي، ١٤١٤: ٢٥٥) إذا ارتكب المرء أيًا من هذه الأنواع من الظلم فهو لا يستحق الإمامة، والآية ١٢٤ من سورة البقرة تثبت ذلك. ويصف أمير المؤمنين (ع) أهل البيت في نهج البلاغة كمايلي: «لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ» (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٥٨) ويتطلب هذا الأمر أن يكون الإمام عادلاً غير ظالم، لأن الظالمين على خلاف مع العادلين.

وفي هذا الصدد، فإن النهي الوارد في العبارة التي استدل بها الجميعان لا تعني الانتصاف بالظلم أو عدم فعل الخير والإحسان، بل بعدم الانتصاف بالظلم وفعل العمل الصالح. بينا في الأقسام السابقة أن توجيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى الأئمة

توثيق دراسة تعاليم عصمة الأئمة في وصية الإمام علي (ع)؛ نقد نظرية عبدالرحمن الجميعان / ٤٩

ابن سينا، حسين بن عبد الله (١٤٠٥). منطلق الشفاء. قم: المرعشي النجفي.

ابن طاووس، علي بن موسى (١٩٩٦م). كشف المحجة لثمره المهجته. قم: بوستان كتاب.

بحراني، ابن ميثم (١٤١٧). شرح نهج البلاغة، ترجمة: محمدي مقدم ونوالي. مشهد: مجمع البحوث الإسلامية.

الجميعان، عبد الرحمان بن عبد الله (١٤٢٧). قراءة راشدة لكتاب نهج البلاغة. كويت: بيت التمويل الكويتي.

حلي، حسن بن يوسف (١٤٢٦). تسليك النفس إلى حظيرة القدس. تحقيق فاطمه رمضاني. قم: مؤسسة الإمام

الصادق (ع).

----- (١٤٠٩). الألفين. قم: هجرت.

----- (١٤١٣). كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد. تصحيح حسن زاده آملی. قم: موسسه النشر الإسلامی.

حر عاملي، محمد بن حسن (١٤٠٩). تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة. قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

الحكيم، سيد عبد صاحب (١٤١٤). منتقى الاصول. قم: انتشارات امير.

جواد آملی، عبد الله (١٣٨٩). مماثلة القرآن وأهل بيت عليهم السلام. قم: اسراء.

خرازي، محسن (١٤٢٠). بداية المعارف الالهية في شرح عقائد الامامية للمظفر. قم: نشر اسلامي.

دعاس، حميدان قاسم (١٤٢٥). إعراب القرآن الكريم. دمشق: ناشر دار المنير ودار الفارابي.

رازي، محمد بن عمر (١٩٨٦). الأربعين في أصول الدين. حسين محمد امبايي. القاهرة: مكتبة الكليات الازهرية.

الشريف الرضي، محمد بن حسين (١٤١٤). نهج البلاغة. تصحيح صبحي صالح. قم: هجرت.

شهيدی، جعفر (١٩٩٩م). ترجمة نهج البلاغة. طهران: شركة النشر العلمي الثقافي.

صدوق، ابن بابويه قمي (١٤١٤). الاعتقادات. قم: المؤتمر العالمي للشيخ المفيد.

صدر، محمد باقر (١٤٠٨). مباحث الاصول. قم: مكتب الإعلام الإسلامي.

الطباطبائي، سيد محمد حسين (١٤١٧). الميزان في تفسير القرآن. قم: مكتب النشر الإسلامي التابع لمجمع

لايتنافى مع عصمتهم. وبالتالي، فإن النهي عن الظلم لايعنى الاتصاف به. وبعبارة أخرى، فإن النهي في هذه العبارة ذو طابع إرشادي، لأن شر الظلم وقبحه واضح. ونتيجة لذلك، فإن النهي في هذه العبارة هو توجيه لهذا الحكم العقلاني، وبالتالي لايعنى أن مخاطب الوصية، أي الإمام حسن (ع)، ظالم.

وهذه الفقرة من نهج البلاغة تشبه الآية القرآنية التي تقول: «وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ». (القصص: ٧٧) إن أمر النبي محمد (ص) بالإحسان ونهيه عن الفساد لايعني اتصافه بأضدادها ولا يتنافى مع عصمته.

الخاتمة

تطرق عبد الرحمن الجميعان، وهو من الكتاب السلفيين، إلى تحليل وصية الإمام علي لابنه الحسن عليهما السلام، ساعيًا إلى إثبات عدم توافق تعاليم المذهب الشيعي مع هذه الوصية. يرى الجميعان في هذه الوصية ووفقًا لبعض فقرات نهج البلاغة، أن الموصى والموصى كلاهما من أبناء آدم وغير معصومين عن ارتكاب الخطيئة. بأخذه لهذه الأمور بعين الاعتبار وربطها بالحجج الشيعية في إثبات عصمة الأئمة، يسعى الجميعان إلى تضخيم هذا التناقض الداخلي.

وبالنظر إلى حقيقة أن حجج الجميعان في هذه النظرية مبنية على نهج البلاغة، فإن الدراسة الحالية التي تركزت على هذا الكتاب، أثبتت عدم صحة نظرية هذا الكاتب السلفي باستخدام عبارات نهج البلاغة، لأن تعاليم العصمة مشروحة ومفسرة في أنحاء مختلفة من هذا الكتاب. ومع ذلك، فإن بعض الآيات القرآنية الكريمة موجهة أيضًا إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

المصادر

القرآن الكريم.

ابن الاثير، مبارك بن محمد (١٩٨٨). النهاية في غريب الحديث والأثر. قم: مؤسسة إسماعيليان المطبوعاتية.

ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبه الله (١٤٠٤). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد. قم: مكتبة آية الله

المرعشي النجفي.

ابن شعبة حراني، حسن بن علي (١٤٠٤). تحف العقول عن آل الرسول (ص). قم: مجمع المدرسين.

٥٠ / فصلية علمية - محكمة نصف سنوية، دراسات حديثة في نهج البلاغة، السنة الأولى، العدد الثاني (المتوالي ٢)، ربيع وصيف ١٣٩٧ش. ١٤٣٩ق.

- مدرسي الحوزة العلمية في قم.
طوسي، محمد بن حسن (١٤٠٦). الاقتصاد فيما يتعلق
بالاعتقاد. بيروت: دار الأضواء.
فيض الإسلام الإصفهاني، علي نقوي (٢٠٠٠م). ترجمة وشرح
نهج البلاغة. طهران: مؤسسة چاپ ونشر تأليفات فيض
الإسلام.
كراجكي، محمد (١٤١٠). كنز الفوائد. قم: انتشارات دار
الذخائر.
كليني، محمد بن يعقوب (١٤٠٧). الكافي. طهران: دار
الكتب الإسلامية.
مازندراني، محمد صالح بن احمد (٢٠٠٣م). شرح الكافي
لأصول والروضة. طهران: المكتبة الإسلامية.
مفيد، محمد بن محمد بن نَعْمَان (١٤١٣). المسائل
العكبرية. قم: المؤتمر العالمي للشيخ المفيد.
مجلسي، محمد باقر (د. تا). حق اليقين. طهران: انتشارات
اسلاميه.
----- (١٤٠٣). بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة
الأطهار. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
مصباح يزدي، محمد تقي (٢٠٠٢م). النصية الخالدة: شرح
وصية أمير المؤمنين علي (ع) إلى ابنه الإمام الحسن
المجتبى (ع) المؤلف: علي زينبي. قم: دار المؤسسة
إمام خميني (ره) التعليم البحثية.
مفيد، محمد بن نعمان (١٤١٣). أوائل المقالات في المذاهب
والمختارات. قم: المؤتمر العالمي للشيخ المفيد.
هاشمي خويي، ميرزا حبيب الله (١٤٠٠). منهاج البراعة في
شرح نهج البلاغة. طهران: المكتبة الإسلامية.

بررسی آموزه عصمت امامان در وصیت‌نامه امام علی (ع)؛ نقادی نظریه عبد الرحمن الجمیعان

محمود صیدی*

علی حسن نیا**

چکیده

وصیت‌نامه به امام حسن (ع) از مهم‌ترین نامه‌های نهج البلاغه می‌باشد که سبب پیدایش چالش‌های متعددی نسبت به آموزه عصمت امامان در تشیع گردیده است. بدین لحاظ، عبدالرحمان الجمیعان از اندیشمندان سلفی با تحلیل این نامه، معصوم نبودن امامان (ع) در نظر امام علی (ع) را نتیجه‌گیری می‌کند و ناسازگاری آموزه عصمت را با نهج البلاغه اثبات می‌نماید. در پژوهش حاضر با استفاده از دو روش نقد درونی و بیرونی به نقادی این نظریه پرداخته شده است. در قسمت نقد درونی تبیین شده است که مخاطب این نامه همه افراد انسانی اند، معصوم بودن با تصور گناه و معصیت منافاتی ندارد، اوامر و نواهی که مخاطب آن معصوم اند ارشادی است نه مولوی و شخص معصوم در علم لدنی خویش نیازمند به خداوند است. در قسمت نقد بیرونی فقرات مورد استدلال الجمیعان، بیان گردیده است که این نظریه، با فقرات مختلف نهج البلاغه که در طی آنها آموزه عصمت تبیین گردیده، سازگاری ندارد.

واژگان کلیدی: نهج البلاغه، عصمت، الجمیعان، امام علی (ع)، امام حسن (ع).

* استادیار گروه فلسفه و حکمت اسلامی دانشگاه شاهد، ایران. (نویسنده مسئول) (m.saidiy@yahoo.com)

** استادیار گروه علوم قرآن و حدیث دانشگاه شاهد، ایران. (a.hasannia@shahed.ac.ir)